جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

المحاضرة الأولى: ماهية مفردة التفكيك ومنطلقاته

في مقياس التفكيكيات لطلبة السنة الثانية ماستر

شعبة: النقد الحديث والمعاصر

إعداد الأستاذ الدكتور: بشير تاوريريت

السنة الجامعية: 2020-2021

1-في ماهية التفكيك:

لقد شهدت الساحة النقدية الفرنسية – وفي ظل هذا الكبت المريع للغة وهذه المحدودية للمعاني – ومع طلائع الستينيات حركة نقدية جديدة اتسمت بالثورة والتمرد على كل ما هو مألوف من تقاليد فكرية سابقة، وقد تمثلت هذه الحركة في مشروع قراءة جديدة تنظر للنص الأدبي بوصفه كتلة صماء، لا بد من تفجيرها من الداخل من أجل الكشف عن جوهرها، قراءة مؤجلة يستطيع القارئ بموجبها شحن اللغة بما لا نهاية من المعاني والدلالات. قراءة حفرية وقل إن شئت قراءة سيئة تعمل على النبش في الخطابات بهدف خلخلتها، إنها استراتيجية التفكيك التي شغلت بال الناقد الفرنسي "جاك دريدا"(Jacques Derrida)، الذي يعتبر من المؤسسين الأوائل لأهرامات النقد التفكيكي.

والتفكيكية هي بحث أبدي في النسق الداخلي للنص :" وخلخلة وتفكيك لكل المعاني التي تستمد منشأها من اللوغوس، وبالخصوص معنى الحقيقة"[1]، على حد تعبير جاك دريدا. والتفكيكية بهذا التصور هي تجاوز للمدلولات الثابتة عن طريق الخلخلة واللعب الحر للكلمات؛ لأنها :"تقوض النص بأن تبحث في داخله ما لم يقله بشكل صريح واضح (مسكوت عنه) وهي تعارض منطق النص الواضح المعلن وادعاءاته الظاهرة بالمنطق الكامل في النص، كما أنها تبحث في النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه، فهي عملية تعرية للنص، وكشف أو هتك لكل أسراره، وتقطيع أوصاله، وصولا إلى أساسه الذي يستند إليه، فيتضح هذا الأساس وضعفه ونسبيته وسيرورته، فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه ثابت، متجاوز"[2]. فالتفكيكية بهذا الفهم هي تفتيت لشفرات النص إلى أجزائه المكونة لتدرك أنماطه، ثم تعيد تشكيل ذلك الفتات في إبداع جديد وفق رؤية جديدة مغايرة، وهذا الإبداع أيضا هو عرضة للتشضي والتفكيك.

ويبقى مصطلح التفكيك من المصطلحات الغامضة التي توحي بالتفتت والتشتت والبعثرة والتناثر والضياع، وفي مقابل ذلك هو مصطلح ثري وغني ومليء بالدلالات الفكرية حيث يتجاوز فكرة الهدم والتشريح والتقويض، إنه قراءة ثانية للخطابات والنصوص والأنظمة

---

[1] ينظر: سارة كوفمان– روجي لا بورت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ترجمة ادريس كثير وعز الدين الخطابي، افريقيا الشرف، ط2، 1994، ص13.

[2] حسن حنفي: ما العولمة؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999، ص279.

الفكرية[3]، قراءة لا تتم إلا من خلال تفكيك عناصر هذا الخطاب وأجزائه المكونة له، وذلك بهدف إدراك معانيه الخفية النائمة خلف الدوال ثم إعادة هندسة معاني النص وتشكيلها تشكيلا جديدا، إنها قراءة تحولت إلى كتابة على أنقاض كتابة أخرى وهي صورة إبداعية جديدة وفق رؤية مغايرة تستهدف الكشف عن المعاني الغائبة، المعاني التي تعطي للخطاب الأدبي شرعيته في ضوء الأنساق المعرفية الأخرى.

هذا ما يمكن قوله باختصار عن ماهية التفكيك في مقاربته للنصوص الأدبية، وفي مداعبته للمعاني المؤجلة، ويختفي خلف هذه الماهية والتأجيل مجموعة من المنطلقات انطلق منها دريدا في تأسيسه لإستراتيجية التفكيك، وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا.

2- منطلقات دريدا في التأسيس لاستراتيجية التفكيك.

مما هو معلوم أن التفكيكية قد ارتبطت في منشئها الأول بالناقد الفرنسي جاك دريدا، الذي مثلت كتاباته وأعماله الجسر الذي انتقل به التفكيك إلى الساحة النقدية الأمريكية ثم العالمية، والدارس لهذه الكتب وهذه الأعمال يلحظ الدوافع والأساليب التي انطلق منها دريدا في التنظير للتفكيك، فقد لاحظ دريدا أن سلطة العقل وسلطة الحضور، وحتى المقولات البنيوية قد ساهمت في تضييق الخناق على المعنى وقيدته بقيود لا يستطيع تجاوزها مما يسبب نوعا من الجمود واللاحركية في الأعمال الأدبية والفلسفية على حد سواء. وكان تمركز الغربيين حول هذه المقولات وحول مقولات الميتافيزيقا سببا في الثورة التي أشعل فتيلها دريدا داعيا إلى التفكيك والتقويض وهدم كل ما هو مألوف ومأخوذ به من تقاليد ومن أفكار، ودعا إلى نوع جديد من البناء الذي يكون بعد الهدم والتدمير لكل مظاهر المركزية الغربية.

وينطلق جاك دريدا في تأسيسه للتفكيك من المقولات الفكرية التقليدية، التي جعلت حضارة الغرب تقوم على العقل والمنطق، وتتقوقع حولهما، وهو الشيء الذي جعلها تفصل بين الخطاب الفلسفي والخطاب الجمالي[4]. ومن ثمة فإن ثورة دريدا التفكيكية هي في

---

[3] ينظر بسام قطوس: استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي، مؤسسة حمادة والدار الكندي، أربد، ط1، 1998، ص22.

[4] ينظر: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص316.

حقيقتها ثورة على سلطة العقل وعلى فلسفة الحضور، وثورة عن البنيوية التي أرهقت الفكر وقيدت المعنى بمقولاتها التقليدية.

وسنحاول في الصفحات التالية التعرض إلى ملامح هذا المد الثوري عن المركزية الغربية والتي تعد من الدوافع الأولى التي حملت على التنظير لإستراتيجية التفكيك.

2-1- الثـورة عن العقـل.

لقد ثار جاك دريدا عن الفكر الغربي بأسره ودعا إلى تفكيكه وتقويضه كونه كان يجر الفكر الإنساني إلى التمركز حول جملة من الأفكار والمنطقات والأسس الميتافيزيقية التي كانت تغذيه، فالفكر الغربي وطيلة قرون ظل متمحورا ومتمركزا حول ما يعرف بسلطة العقل وميتافيزيقيا الحضور، حتى إن التراث الفلسفي بمذاهبه ونظرياته المختلفة كان مجرد صيغ وتأويلات، قائمة على نظام التمركز.

وعلى الرغم من صعوبة التخلص من قيود هذا التمركز الذي قيد الفكر الغربي، فقد حاول دريدا معرفة الأسباب والدوافع التي فرضت ظاهرة التمركز، ولما كانت الميتافيزيقيا لا حدود لها عمل دريدا على نقدها داخليا من خلال التعرف على النظام الهدمي الذي أقامته والذي من خلاله راحت توجه الفكر الغربي وتطوره، وكأنه تناول جزءا أو عينة من هذه الأفكار والمقولات الميتافيزيقية التي ترسخت في الكثير من أعمال وكتابات الفلاسفة والأدباء وغيرهم، وقد سعى دريدا إلى هدم وتقويض هذا النظام المتماسك الذي تكوّن نتيجة للتمركز حول سلطة العقل، وميتافيزيقا الحضور، مما تسبب في تقييد حرية الفكر والحد من انطلاقه، وكان هدفه في ذلك تفكيك هذا الفكر المتمركز حول العقل "Logocentrism"[5]. وحله من أجل كشف تناقضاته وأسراره وأسسه ونقدها.

هكذا إذن إن فلسفة الغربيين ولمدة طويلة كانت فلسفة عقلية بحتة، تمجد العقل وتأخذ به كمقياس أو كمعيار لتقييم المعرفة والحقيقة، وتحكم به على أصالة الشيء وقيمته، الأمر الذي جعلها تنفي كل معنى لا يتوافق مع النماذج العقلية التي تتصورها فهي قد رفضت كل معنى أو تأويل أو قراءة تبتعد عن التصورات العقلية أو تخرج عن إطار سلطة العقل، "فالفلسفة منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو دفعت العقل إلى واجهة الاهتمام وأعطته سلطة فعالة في مسار الفكر بحيث آل في نهاية المطاف إلى مفهوم مجرد ذي قوة لا متناهية، وفي ظل

---

[5] عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية وإشكالية التكون والتمركز حول الذات، ص316.

هذه النزعة العقلية – أصبح القياس العقلي– المنطقي نموذجا معياريا تقاس في ضوئه كل النماذج الفكرية، ففرض بسبب ذلك هيمنته القصوى في مجال الفكر الفلسفي، وكان هذا كافيا بالنسبة إلى لدريدا لأن ينصرف إلى تفكيك هذا التمركز، وذلك من خلال نقد وجهه للأصل الثابت والمتفرد بالقوة لمفهوم العقل سعيا وراء ظهور نمط من التفكير الذي يتجاوز نسق التمركز المذكور"[6].

لقد ارتبطت الحقيقة بالعقل عند الفلاسفة الغربيون القدامى من أمثال أرسطو وأفلاطون وغيرهما، فأفلاطون رأى بأنها حوار تجريه النفس مع ذاتها، وأرسطو اعتبرها تفكيرا يتسم بالذكاء، وكانت الميتافيزيقا الغربية التي ظهرت بعد هذين الفيلسوفين معتمدة على فكرة الخضوع لسلطة العقل، من جهة ولسلطة الحضور من جهة أخرى. فقد حظي العقل في الميتافيزيقا الغربية بمكانة عالية، بل احتل مكان الصدارة والسمو فيما يتعلق بطرائق ووسائل التفكير، وتعدى كونه مجرد آلة للتفكير، ليرتقي إلى أن يصبح منبع المعرفة ومصدرها، وقد اعتبرته الميتافيزيقا الغربية القوة المنظمة للعالم، ومنبع الإبداع ومصدر كل التصورات وكل المفاهيم والمسميات للأشياء الوجودية، وأكثر من ذلك جعلته الميتافيزيقا الغربية مفهوما يحكم العالم بأسره؛ بمعنى أن جميع الأشياء والظواهر والموجودات تخضع لنظامه وتصاغ حسب آلياته ومعطياته الخالصة.

لقد غرق الفكر الغربي في هذه الزاوية إلى أن بات يدور حول نقطة واحدة ووحيدة هي العقل، هذا المفهوم الذي جعل كثيرا من الفروض والإجراءات والنتائج الحاصلة والمتصلة به حقائق ثابتة وكان مجمل همّ دريدا في نظرته لاستراتيجية التفكيك هو نقض التمركز والتمحور حول العقل، ذلك لأنه ساهم في تقوقع الفكر الغربي وفي جموده حتى أنه أصبح فكرا ساكنا جامدا متمركزا حول تلك الأفكار والمقولات الميتافيزيقية التي كانت أن تبلورت مع مرور الوقت في الفكر الغربي، هذا الفكر الذي كان خاضعا خضوعا تاما لسيطرت العقل والمنطق، بدأ من أفلاطون. والعقل مستند إلى الصوت، بمعنى أن التفكير العقلي المنطقي يعتمد على الصوت حتى في حديث النفس مع نفسها وفي تواصلها مع ذاتها، فكان العقليون يهتمون بالكلام أكثر من الكتابة وكان الوجود عندهم مجرد حضور يتم تعيينه وفق ما يقبله العقل والمنطق فرفضت هذه الميتافيزيقا العقلية – التي اعتبرها دريدا

---

[6] عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية وإشكالية التكون والتمركز حول الذات، ص321.

مجرد مذهب خاص بمجموعة عرقية- كل ما هو خارج عن إطار العقل، حتى أصبح القياس العقلي نموذجا تقاس عليه النماذج الفكرية والإبداعية[7].

ولأن العقليين قالوا بأن الوجود حاضر دائما، وهذا يعني بأن معناه ومفهومه ودلالته تكون هي الأخرى دائما حاضرة معه، وتكون محددة ومعروفة وفق أساس عقلي يؤمنون به وينطلقون منه، فإن دريدا قد ثار على هذا الأساس العقلي الذي كانوا يتمركزون حوله ليقول بفكرة غياب المعنى وضياع الدلالة داعيا إلى انفتاح النص المكتوب وتوسيع مجاله المعنوي إلى ما لا نهاية، فيظل القارئ في حالة مطاردة لهذه المعاني الغائبة التي كلما اعتقد بأنه أحاط بها إلا وجد معاني أخرى غائبة ومرجأة ومختلفة تفاجئه، إنها الدعوة إلى إبعاد سلطة العقل وإحلال محله سلطة الذات. هذا وقد استعان دريدا بمقولات نقدية جديدة من أجل تقويض التمركز الدلالي حول العقل الذي سيطر على الفلسفة الغربية مثل القراءة والاختلاف والأثر.

لعلنا من خلال الفقرات السابقة وضعنا أيدينا على واحدة من الدوافع أو الأسباب التي أدت بدريدا إلى التنظير والعمل من أجل إرساء قواعد التفكيك، لهذا المشروع النقدي الذي كان أن بدأه بنقد إلى درجة تغييب جذور الفلسفة الغربية الأولى بوصفها فلسفة عقلية منطقية تمجد العقل ملهمة إياه هالة من التقديس. يضاف إلى ذلك أن الفلسفة الغربية منذ القديم أهملت الكتابة تماما، لتجعل من سلطة العقل مركز العالم وهو مركز الوجود الذي لا يتحقق حضوره إلا به ووفق مقاييسه ومعاييره المنطقية.

2-2- نقد سلطة الحضور.

لعل الثورة التي شنها التفكيكيون على كل مظاهر الفلسفة الغربية وتقاليدها ومقولاتها وأسسها ومرتكزاتها ترجع إلى مبدأ الشك ورفض كل التقاليد الميتافيزيقية والقراءات المعتمدة ،"فالهم الذي يشغل بال الفلسفة الحديثة يتمثل في وضع حد للميتافيزيقا إلا أن ما تقره الفلسفة الحديثة هو أن القضاء على الميتافيزيقا يتطلب وضع حد لوعي الإنسان، لأن هذا الوعي يجعل من نفسه مركزا للكون"[8].

---

[7] ينظر: بسام قطوس: استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي، ص27.

[8] عبد العزيز بن عرفة: (جاك دريدا) التفكيك والاختلاف المرجأ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ص71.

لقد رأى التفكيكيون أن الفلسفة منذ أفلاطون إلى هيغل هي فلسفة حضور تختزل فيها الذات داخل الوعي باعتباره المركز في هذه الفلسفة "فمنطق هيغل– شئنا أم أبينا– هو منطق الاختزال امتدادا للمنطق اليوناني الأفلاطوني القديم، لأنه في الأخير نضال من أجل تطابق الواحد مع مقولاته"[9]. وقد توحد الفكر الغربي في إطار ميتافيزيقا قامت أساسا على فلسفة الحضور، وهي فلسفة ضربت جذورها عميقا في ساحة الفكر الغربي، ومن أجل ذلك كان دريدا أن ثار على هذه الفلسفة وسعى إلى تبديد هذا الحضور فسؤاله الجوهري "يبقى دائما باستمرار، كيف نبدد الحضور ؟"[10]، وهذا يعني أن جاك دريدا قد اهتم اهتماما كبيرا بفكرة الحضور التي قال بها الفلاسفة الغربيون، لأن كينونة الكائن عندهم تظهر وتتضح بوصفها شيء حاضر، ولأن "ما يأتي لذاته يتجلى وينتشر بالقرب من ذاته"[11].

ولقد أشار هيدجر إلى هذا المنحى وأكد بأن الفلسفة الغربية كانت دائما تقر بأن الشيء الموجود هو الشيء الأكثر حضورا من تلقاء نفسه[12]، "غير أن الانقلاب الذي حصل في صف الفلسفة منذ هيدجر ومنه انطلق جاك دريدا... يقول بفلسفة الغياب، فلسفة جاك دريدا تتصدى لتطابق الفكر مع مقولاته"[13]، وهنا نلمس بعض ملامح الثورة على فلسفة الحضور التي تبناها دريدا متأثرا فيها بأفكار هيدجر من أجل بناء مفهوم آخر، هو الآخر المغاير للآخر الغائب الذي ينتج من الاختلاف، إن الإنسان أحيانا قد يعجز وعيه عن إدراك هذا الوجود وهو حاضر وبصفته حضورا فقد يكون اظهر الأشياء وأوضحها، ولكنه ورغم ذلك يكون أقل ظهورا وأكثر غموضا واحتجابا بالنسبة إلى وعي الإنسان وإدراكه ربما قد يرجع ذلك إلى قصور ونقص في طريقة إدراك الإنسان ووعيه بهذا الوجود الحاضر، هذا الوعي الذي يعتبر الوسيلة الوحيدة في إدراك هذا الوجود، ومنه فالغموض أو الإبهام الذي يسود هذا الوجود لا يكمن فيه، وليس صفة خاصة به، وإنما يعود إلى العجز في إدراكه، لكن ظل هذا التفاوت في حقيقة الموجود وكيفية الإحاطة به ملازما ومصاحبا للفكر الفلسفي الغربي، فكيف يكون الشيء واضحا وغامضا في آن واحد ؟!.

---

[9] المرجع نفسه، ص73.

[10] عبد العزيز بن عرفة: (جاك دريدا) التفكيك والاختلاف المرجأ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ص77.

[11] عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية (اشكالية التكون والتمركز حول الذات)، ص320.

[12] المرجع نفسه، ص320.

[13] عبد العزيز بن عرفة: (جاك دريدا) التفكيك والاختلاف المرجأ، مجلة الفكر العربي المعاصر، ص72.

وينتهي هيدجر إلى فكرة مفادها أن انتشار الوجود يشكل بذاته تاريخ الإنسان الغربي من حيث جوهره، فاعتبار أن هذا الإنسان يظل ساكنا في التاريخ مأخوذا بيده ومثبتا في موضوعه بوصفه قاطنا في إشراقة الوجود ومساهما في هذه الإشراقة، والوجود من حيث هو انحجاب لا ينفك عن الظهور، يدل بذاته عن الماهية الإنسانية[14]. ومعنى ذلك أن الإنسان تاريخه مرتبط بهذا الوجود، فهو يساهم في بقاء هذا الوجود، والوجود بدوره يساهم في إنشاء الماهية الإنسانية، وهذا يعني أن كلا منهما متأثر بالآخر وكلا منهما يخدم الآخر[15].

وحسب فلسفة الحضور، قد اقتصر مفهوم الأشياء والموجودات فيها بعينها بوصفها أشياء حاضرة "ومن الممكن بشكل عام القول مع دريدا إنه ليس ثمة شيء يكون حاضرا ببساطة، وكل ما نعتبره حاضرا معطى يعتمد لتجديد هويته على اختلافات وعلاقات لا يمكن أن تكون حاضرة"[16]. لأن الشيء لا يحضر إلا بالاعتماد على الاختلافات والعلاقات الخارجية بوسائط مرجعية أخرى، ولما كانت هذه الاختلافات غير حاضرة، فإنه هناك معنى غائب دائما، وهذا ما لاحظه دريدا على الكتابات الأدبية والخطابات الفلسفية، فالنص فني ولو حضر كوجود، متكون من وحدات لغوية وكلمات وتراكيب توحي للوهلة الأولى بالمعنى العادي الذي يتشكل لدى أي قارئ من خلال القراءة الأولى له، يبقى يحتمل أكثر من هذا المعنى وأكثر من هذا التأويل الذي قد يصل إليه قارئ واحد، فدريدا بنقده لسلطة الحضور التي تمركز حولها الفكر الغربي يكون قد أزال ذلك الحاجز الذي عمل لمدة طويلة على كبت المعنى والحد من انطلاقه وتعدده، فهو بمقولة الغياب التي دعا إليها، جعل من معنى النص المكتوب او الخطاب اللغوي دائما مؤجلا غائبا، مختلفا متنوعا حسب شخصيته وثقافة كل قارئ وكل متلق، في حين قصرت ميتافيزيقا الحضور معنى الأشياء وللكتابات وحقائقها في وجودها وحضورها كشيء متجل وواضح أمام الدارس أو المتلقي.

وتأكيدا لما سبق، نقول مع إبراهيم خليل :"إن دريدا ينكر مفهوم الحضور المطلق، موضحا ذلك بمثال السهم المنطلق فهو في أي لحظة من اللحظات حاضر في موقع معين، ولكنه في الوقت نفسه ليس حاضرا في تلك اللحظة في ذلك المكان بالذات، ففي أي لحظة

---

[14] ينظر: عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)، ص320.

[15] عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية (إشكالية التكون والتمركز حول الذات)، ص320.

[16] جونستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص217، 218.

اخترناها من لحظات إطلاقه يكون متحركا باتجاه موقع ثان، وهكذا (....) لابد من أن نأخذ بعين الاعتبار إن كل حضور إنما يعتمد في تحديده على اختلافات وعلاقات لا يمكن أن تكون حاضرة، وعلى هذا فإن الشيء يمكن أن يكون حاضرا، وغير حاضر في الوقت ذاته، لذا لا يوجد في أي نص أو خطاب معنى يتمتع بحضور مطلق، وعليه فإن أي معنى تسفر عنه أي قراءة لابد أن يكون سلسلة من الاختلافات والتوافقات الحاضرة والمرجأة..."[17]، وفي هذا السياق يعيد جاك دريدا تصوره للزمن، فإذا كان الأثر يحيل إلى ماض مطلق فمعنى ذلك أنه يلزمنا بالتفكير في ماض لا يمكننا أن نفهمه في شكل الحضور المعدل كحاضر ماض، والحال أن الماضي مادام يعني دائما حاضرا، ماضيا، فإن الماضي المطلق الذي يظل باقيا داخل الأثر لم يعد يستحق اسم ماض إن المفهوم الميتافيزيقي للزمن – كما يرى دريدا– لا يمكنه أن يصف بشكل مطابق بنية الأثر، وبالتالي فإن فكرة هدم الحضور هي في الواقع هدم للزمن ذاته[18]، ويبقى هذا الزمن غير مكتمل ما لم يتم تجاوز ميتافيزيقيا الحضور.

الواقع أن ثورة دريدا على فلسفة الحضور التي اختزلت الوعي واحتكرته حولها، لم يستطع الإفلات من قبضتها، ويبقى: "بحث در يدا في نهاية المطاف ظل سجين الميتافيزيقا، سجينا لميتافيزيقا الحضور هاته التي غالبا ما تفكك، ولكنها لا تهدم أبدا (...) (وقد رأينا ضرورة ومهارت هاته الإستراتيجية) فإننا نجازف أيضا بالخضوع[19] لتلاعب هاته البنيات، وهي مجازفة يتحمل دريدا مسؤوليتها. إن دريدا حسب هذا الرأي ظل أسيرا لمركزية الحضور وهي المركزية التي طالما كانت محل نقد لديه، بل أن الفكر الغربي بأسره ظل متمركزا حول فلسفة الحضور وخاضعا لسلطتها والشيء الذي ساعد على ترسيخها في الفلسفة الغربية هو ثورتها التدميرية والتقويضية، ولكنها في الوقت نفسه ثورة بناءة. ودريدا في سعيه إلى نقض فلسفة الحضور يكون قد جعل الفكر لا ينام على قناعاته، ولا يتطابق مع مقولاته.

2-3- الثورة عن البنيوية.

---

[17] إبراهيم خليل: في النقد والنقد الألسني، ص100.

[18] ينظر: سارة كوفمان، روجي لا بورت: مدخل إلى فلسفة جاك دريدا، عتفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر، ص30.

[19] المرجع نفسه، ص46.

قامت التفكيكية على أنقاض البنيوية المرهقة، فقد حاول النقاد التفكيكيون استعادة الروح الجمالي والمعرفي لعالم النص الأدبي وذلك من خلال تحطيم تلك الأطر والآليات البالية التي طالما اعتنقها النقد البنيوي بتفريعاته المتباينة، يرى دريدا ومعه التفكيكيون أن البنيوية محكومة بالغائية وإنها :"تعتاش على الاختلاف بين أمنيتها ومتحققها وسواء أتعلق الأمر بالبيولوجيا أم بعلم اللغة أم الأدب، كيف يمكن تصور كلية منظمة دون الانطلاق من غاياتها على الأقل ؟ وإذا لم يكن المعنى ذا معنى إلا داخل كليته، فكيف تراه ينبثق إذا لم تتجه الكلية إلى غاية تنتهي عندها قصدية لا تكون بالضرورة والأساس قصدية وعي؟ وإذا كانت هناك بنى فهي ممكنة انطلاقا من هذه البنية الأساسية التي تنفتح بها الكلية وتفيض بها عن نفسها، لتتخذ معناها في استعجال غاية نهائية، يجب أن نفهمها تحت شكلها الأكثر لا تحديدا ولا تعيينا"[20]، ولا تنجو البنيوية في رأي دريدا من ميتافيزيقا الحضور، التي تشكل الحجر الأساسي في نقد دريدا للعقل الأوروبي ؛ لأن البنيوية حين تبدأ من البنية تفترض سلفا نوعا من التزامن اللاهوتي الذي يستنجد بسرمدية الكتاب كما يراه الله، ولهذا عنى دريدا بتمزيق البنية وتفكيكها، فليست ثمة بنية أو مركز، إن المركز عنده خارج النص، (أي نص) وداخله، إنه اللعبة المتواصلة بين المركز واللامركز[21].

ومثلما انتقد دريدا قضية الغائية في البنية، ومركزية الحضور التي قادته إلى القول بتمزيق البنية وتفكيكها بحثا عن المعاني الغائبة التي هي سلسلة من الاختلافات، بالمنطق نفسه تطاول دريدا على البنيوية الأنثربولوجية للقيش شتراوس فهو عالق في مشكلة فلسفية في جوهرها إلا أنه بمعنى ما ليس فيلسوفا بما يكفي لأن يحلها، فالأنثروبولوجيا علم أوروبي يستخدم مفاهيم أوروبية تقليدية، ولأن هذا العلم يدرس مجتمعات غير أوروبية، فإن عليه أن يقدم نقدا لكل مقولات المركزية الإثنية، بما في ذلك مفاهيم العلمية التي قام عليها هذا العلم ذاته، وإلا فإن هذا العلم سوف يقوض علميته الخاصة حتى لو كان بين يدي ممارس بارع ورفيع[22].

---

[20] جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، تقديم محمد عادل سيناطر، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988، ص26.

[21] المرجع نفسه، ص249.

[22] ينظر: ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، دراسة فكرية، ص143.

انطلاقا من هذه المزالق جاءت التفكيكية كثورة نقدية ضد تقاليد البنيوية التي تقدم لنا قوالب لغوية جامدة "لدعم الأفكار التقليدية للنص باعتباره حاملا لمعان مستقرة، حيث يكون الناقد هو الباحث المؤتمن عن الحقيقة في النص"[23]. إن رفض التفكيكية للنمذجة والاحتواء جعلهم يشككون في قدرة النقد البنيوي على اكتشاف الطاقة الإبداعية والجمالية للنص، لأنها تنطلق من الجزء لتحديد الكل، ذلك أنها لا تهتم بالفوارق والاختلافات الموجودة بين النصوص وإنما تجمعها في ظل نسق واحد يحدد جميع خصائصها.

بناء على ما تقدم أقامت التفكيكية مشروعها النقدي على أنقاض النظرية البنيوية محاولة الاستفادة من أخطائها، المتمثلة في تجميد اللغة وتنميطها وتحولها إلى كتل صماء لا جمال فيها ولا رونقا.

[23] كريستوفر نورس: التفكيكية بين النظرية والتطبيق، ص8.